مملكة المَرِّيَة ومن نبغ فيها من الشعراء

د. عدنان صالح مصطفى

مدرس بقسم اللغة العربية ـ جامعة قطر

تمهيـــد :

يتناول هذا البحث التعريف بمملكة المرية ، وإعطاء نبذة موجزة عن تاريخ نشأتها، وعن الأهمية الإستراتيجية التي حظيت بها مدينة المرية بفضل موقعها الجغرافي المطل على البحر الأبيض المتوسط، ونؤرخ أيضا لمن نبغ فيها من الشعراء الذين أجادوا فن النظم ونالوا شهرة واسعة .

نبـذة تاريخيـة :

ذكر ابن سعيد الأندلسي ، أن هذه المملكة كانت تقع بين مملكتي مالقة ومرسية، وهي تشتمل على المدن والحصون الآتية: مدينة بجانة، مدينة المرية، مدينة برجة، ومدينة أندرش، وكذلك حصن مرشانة، حصن شنش، وحصن دوجر(١).

اما بجانة ، فهي مدينة محدثة ، بناها المسلمون في عهد الدولة الأموية في الأندلس. فقد ذكر ابن حيان أن أبا محمد ابن عبد الرحمن المرواني سلطان الأندلس (٢٣٨-٢٧٣هـ)، أمر ابن أسود عامله على المرية ببنائها؛ وبنو أسود كانوا من أعيان المملكة في تلك الفترة(٢)، ولعل ابن أسود هذا، هو عمر بن أسود الذي نسب إليه الحميري بناء جامع بجانة في داخل المدينة(٣).

وحصل أن الأمويين ، لما دخلوا الأندلس، أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم وجعلوا إليهم حراسة مايليهم من البحر وحفظ السواحل من غارات النورمانديين. ولما كان هؤلاء من الغساسنة، فقد عرف هذا الإقليم باسم أرش اليمن(٤).

وعلى مايبدو أن أرش كلمة معربة من (أورسي) urci وهي المركز العمراني لمدينة بجانة(٥).

ولم تكن بجانة ممصرة منكمشة الأحياء، وإنما كانت حارات متفرقة. وظلت هكذا حتى

---

١ ـ المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد الأندلسي، ٢/ ١٨٩.

٢ ـ المصدر السابق، ٢/ ١٩٠

٣ ـ الروض المعطار، ص٣٨.

٤ ـ المصدر السابق، ص٣٧.

٥ ـ انظر، تاريخ مدينة المرية الاسلامية، الدكتور السيد عبد العزيز سالم، ص٢١.

نزلها البحريون وتغلبوا على مافيها من العرب. فقد «حدث في سنة ٢٧١هـ، أن نزل بمرية بجانة جماعة من البحريين الأندلسيين الذين كانوا يترددون بسفنهم ما بين الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس وساحل تنس بافريقية. . . ويبدو أن المدينة الرومانية القديمة urci اجتذبتهم بعيونها وبساتينها وموقعها الذي يبعد بعض الشيء عن الساحل بحيث يقل تعرضها للغارات البحرية المفاجئة، فانتقلوا إلى سكناها بعد أن اتفقوا في ذلك مع عرب أرش اليمن، وتباحثوا معهم في إقامة ما يشبه الجمهورية البحرية، تضم أرش اليمن ومراسيه ومحارسه، لمواجهة أي اعتداء بحري يقوم به أي عدو من أعداء الدولة الأندلسية. ثم تغلب البحريون بالتدريج وأصبح لهم الأمر في بجانة»(١).

وقد عمل البحريون على جمع أحياء هذه المدينة، واتخذوا حولها سوراً كبيراً يحيط بها وبضياعها. فحظيت بجانة بنوع من الأمن والاستقرار «فأمتها الناس من كل جهة وانجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت إذ ذاك شاملة، فكانت أمناً لمن قصدها وحرماً لمن لجأ إليها. وكانت الميرة تجلب إليها من العدوة، وضروب المرافق والتجارات. وكان ذلك أيضاً من الأسباب الداعية إلى قصدها واستيطانها وصار حولها أرباض كثيرة»(٢).

والذي ساعد في ازدهار هذه المدينة أنها تقع على ضفة نهر أندرش المعروف بوادي بجانة، وهو من أفرج الأودية، ضفتاه بالرياض كالعذارين حول الثغر(٣) وكان يدخلها من هذا النهر جدولان، أحدهما بأعلى المدينة من جانب الشرق ويسقى بساتينها كلها، والثاني يشق الأرباض الجوفية، ويخرج عنها إلى الأرباض القبلية(٤).

ونتج عند التدفق السكاني نحو هذه المدينة، قيام عدد من الأسواق والمحلات التجارية الكبيرة. واشتهرت فيها صناعة الحرير، وكثرت فيها الحمامات، فكانت أحد عشر حماماً(٥). وكان يقع بشرقي المدينة جبل شامخ يبعد ثلاثة أميال، فيه أنواع من المعادن. وقد ذكر المقرى أن أرض بجانة فيها حجر يشبه الياقوت الأحمر(٦) وازدهرت في ناحية بجانة قرية الحمة وكانت كثيرة الزيتون والأشجار وضروب الثمار.

---

١ ـ تاريخ مدينة المرية، ص٢٢.
٢ ـ الروض المعطار، ص٣٨.
٣ ـ نفح الطيب، ٣/ ٢٢٠.
٤ ـ الروض المعطار، ص٣٨.
٥ ـ المصدر السابق نفس الصفحة.
٦ ـ نفح الطيب، ١/ ١٤٢

«وفي سنة ٣١٠هـ، تمكن عبد الرحمن بن محمد من استنزال أهلها، فدخلت من جديد في فلك الدولة الأموية. . . وظلت بجانة محتفظة بعظمتها طوال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ولكنها أخذت تفقد بالتدريج أهميتها أمام فرضتها المرية، التي ازدهرت أهميتها وارتفعت مكانتها منذ أن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها سنة ٣٤٤هـ»(١).

المريـــة :

أما مدينة المرية، فإنها بنيت على أصول قديمة لقرية في نفس موضعها كانت تعرف باسم(٢) Fundus Baianus ، أمر ببنائها الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤هـ(٣). وكان أكثر خلفاء بني أمية شغفاً بالبناء. فهي إذن، من جملة المدن التي بنيت في العصر الأموي، وهو العصر الذي شهدت فيه الأندلس حركة معمارية منقطعة النظير.

وقد عرفت المرية بهذا الاسم، لأن العرب اتخذوها مرأى، وابتنوا فيها محارس يرابطون فيها لحماية مدينة بجانة(٤). وقد ذكر ابن سعيد الأندلسي أن بين بجانة والمرية مسافة ستة أميال فقط(٥).

وسرعان ما اتسعت رقعة المرية ونما عمرانها، وازدادت أهميتها، حتى أضحت من أشهر مراسي الأندلس. وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الأسطول الأموي في الأندلس. كما كان مرفأها هو مرفأ الأندلس للحط والإقلاع، وكانت دار الصناعة بالمرية تقوم بانتاج أعداد كبيرة من السفن، وفي هذه الدار استقرت العدة والآلات اللازمة للسفن وما يقوم به الأسطول(٦).

وكان القرن الخامس الهجري عصر ازدهار هذه المدينة في ظل خيران وزهير العامريين، فقد عمل خيران على تحصينها، ودعم أسوارها، وأوصل إليها الماء. وفي أيامه بلغت من العمارة

---

١ - تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.
٢ - تاريخ مدينة المرية، ص١٩.
٣ - الروض المعطار، ص١٨٣.
٤ - المصدر السابق نفس الصفحة.
٥ - المغرب في حلي المغرب، ٢/ ١٩٠
٦ - تاريخ مدينة المرية، ص٣٧.

والقوة فشو الصنائع ماهو مشهور(١). وكذلك حرص زهير على تحصين المرية وإعمارها .

وما أن آلت المرية إلى بني صمادح، حتى أخذت في التألق والازدهار، وبلغت أوج حضارتها في عهد المعتصم الذي حظى بمدح المؤرخين والشعراء على السواء. فقد قال فيه الفتح خاقان: ملك أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها، وأثبت في جبين أوانه وسمها، لم تخل أيامه من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة أو محاضرة، إلا ساعات أوقفها على المدام، وعطلها من ذلك النظام وكانت دولته مشرعاً للكرم، ومطلعاً للهمم، فلاحت بها شموس، وارتاحت فيها نفوس، ونفقت فيها أقلام الأعلام. . .(٢)

وفي عهد المرابطين كان ميناء المرية من أشهر موانى الأندلس، تقصده السفن من سائر أقطار البحر المتوسط. وقد اهتم المرابطون بهذه المدينة بعد أن اتخذوا من مدينة غرناطة قاعدة لهم، فازدهرت المرية في مجال الصناعة والتجارة، وفي ذلك يقول الإدريسي: وكانت المرية إليها تقصد مراكب البحر من الإسكندرية والشام كله، ولم يكن بالأندلس أيسر من أهلها مالاً، ولا اتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفاً وادخاراً. . .(٣)

وبسبب الضعف والانهيار الذي أصاب الدولة المرابطية بعد وفاة أميرها على بن يوسف ٥٣٣هـ، تعرضت المرية لغزو النصارى فدخلوها عنوة سنة ٥٤٢هـ، فخربتها جيوشهم وهدموا أبنيتها. ثم استردها الموحدون بعد ذلك، وعملوا على إصلاحها وترميم أسوارها. ولكن المرية كانت قد أخذت تفقد أهميتها، وبدأ نورها يخبو شيئاً فشيئاً إلى أن سقطت نهائياً في أيدي الإسبان .

الحركـــة الأدبيـــة :

لم يقتصر دور المرية الحضاري على شهرتها في صناعة السفن ونشاط سكانها في مجال التجارة فحسب، بل كان لها مساهمة ملحوظة في ميدان الشعر والأدب. ويعود الفضل في ذلك إلى من نبغ فيها من الأدباء والشعراء أمثال الوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس الذي اشتهر بأنه بذ

---

١ ـ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص٢١٢

٢ ـ قلائد العقيان ، ص ٤٨

٣ ـ انظر ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٨٨

الناس في أربعة أشياء: المال، والبخل، والعجب، والكتابة(١). والكاتب أبو بكر يزيد بن صقلاب وكان عالي الهمة واسع الأدب، وابو الحسن مختار ابن سهر الرعيني قاضي المرية وعالمها، ورئيسها في الأمور الشرعية، وابو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوى المرية. بالإضافة إلى عدد من الشعراء الذين أسهموا في نهضة الشعر من أمثال ابن الشهيد وابن هرودس ومدغليس وغيرهم.

وقد تألقت الحياة العلمية والأدبية في المرية في عهد المعتصم بن صمادح. وبنو صمادح اسرة عريقة في الأندلس، أصلهم من التجيبيين، كانت لهم عناية بالشعر والأدب، بل كانوا هم أنفسهم شعراء وأدباء، شأنهم في ذلك شأن كثير من الأسر الشاعرة التي ظهرت في الأندلس، كبيت بني سعيد العنسى، وبني القبطرنة، وبني زهر وغيرهم.

اما المعتصم فهو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح(٢)، تمت له الإمارة بعد وفاة أبيه معن بن صمادح سنة ٤٤٣هـ، وساعده في ذلك بنو عمه التجيبيون، وسمى نفسه معز الدولة. فلما أخذ ملوك الطوائف في استخدام الألقاب السلطانية تلقب هو أيضاً باسمين من ألقابها فسمى نفسه المعتصم بالله الواثق بفضل الله(٣).

وقد أطنب في مدح المعتصم معظم من ترجموا له. فقد جاء في (الخريدة) أن مؤلف كتاب قلائد العقيان ذكر المعتصم «فأكثر له المدائح، وذكر أن دولته كانت منبعاً للجود ومطلعاً للسعود، ومشرعاً للوفود، ووصفه برواج بضائع الرجاء في سوقه، وإنارة مطالع الفضلاء بشروقه، واتساق نظام نفائس الأفاضل...»(٤)

وجاء في (الذخيرة) أنه كان: رحب الفناء، جزل العطاء، حليمًا عن الدماء والدهماء، طافت به الآمال، واتسع في مدحه المقال، وأعملت إلى حضرته الرحال، ولزمه جملة من فحول شعراء الوقت، كأبي عبد الله بن الحداد، وأبي الفضل ابن شرف، وابن عبادة، وابن الشهيد وغيرهم(٥)

---

١ ـ المغرب في حلي المغرب، ٢/ ٢٠٥

٢ ـ الذخيرة، ق١ م٢، ص ٧٢٩

٣ ـ البيان المغرب، ٣/ ١٦٨

٤ ـ الخريدة، ٢/ ٨٦

٥ ـ الذخيرة، ق٢ م١، ص ٧٣٢

ووصفه الحجارى بقوله: ملك تملكه الإحسان، وأطلعه الفضل غرةً في وجه الزمان، فكأن أبا تمام عناه بقوله: (١)

تحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

وينتقل ابن سعيد عن الفتح بن خاقان، أنه قال: ملك أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظامها واتساقها، وأوضح رسمها، وأنبت في جبين أوانه وسمها، ولم تخل أيامه من مناظرة، ولاعمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة(٢).

وذكره ابن عذارى المراكشي، فقال: كان من أهل الأدب والمعارف، فاضلاً عاقلاً، كان لأهل الشعر عنده سوق نافقة فقصده جمع منهم.. (٣)

هكذا عرف المعتصم بن صمادح بأدبه وشعره، حتى توافد عليه أكابر شعراء العصر، بفضل جوده وحسن ضيافته، ومأأظهره من حرص على حماية دولة الشعر والأدب، وأنشد فيه هؤلاء المدائح التي خلدت ذكره.

وسبق أن ذكرنا، أن جميع أفراد أسرة بني صمادح شعراء وأدباء، ولهم جميعاً آثار شعرية انتهى إلينا الكثير منها. فمن أشعار المعتصم ما رواه الحجاري أنه قال عند موته: (٤)

تمتعت بالنعماء حتى مللتها وقد أضجرت عيني مما سئمتها
فيا عجبا لما قضيت قضاءها ومليتها عمري تصرم وقتها

وجلس المعتصم يوماً وبين يديه ساقيه قد اخمدت ببردها حر الاوار، والتوى ماؤها فيها التواء فضة السوار، فقال ارتجالا: (٥)

انظر إلى الماء كيف انحط من صببه كأنه أرقم قد جد في هربه

وكتب إلى ابن عمار، وقد بلغه عنه ما أوجب ذلك من سوء الأعتياب: (٦)

---

١ ـ المغرب، ٢/ ١٩٦
٢ ـ نفس المصدر والصفحة.
٣ ـ البيان المغرب، ٣/ ١٦٨
٤ ـ المغرب، ٢/ ١٩٦
٥ ـ نفح الطيب، ٣/ ٣٢٩
٦ ـ الخريدة، ٢/ ٨٣

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلاً تسرني ... مباديه إلا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمةٍ ... من الدهر إلا كان إحدى المصائب

وأطال الإقامة عند مرةً ا بن عمار فكتب إليه : (١)

يا واضحاً فضح السحا ... ب الجون في معنى السماح
ومطابقاً يأتي وجو ... ه الجد من طرق المزاح
أسرفت في بر الضيا ... ف فجد قليلاً بالسراح

فراجعه المعتصم :

يا فاضلاً في شكره ... أصل المساء مع الصباح
هلا رفقت بمهجتي ... عندالتكلم في السراح
إن السماح ببعدكم ... والله ليس من السماح

ومن شعره قوله : (٢)

انظر إلى الأعلام خفاقة ... قد عبثت فيها أكف الشمال
كأنها وهي لنا زينة ... أفئدة الأعداء يوم القتال

وقال في بركةٍ بناها بالصمادحية : (٣)

كأن انسياب الماء في صفحاتها ... حسام صقيل المتن سل من الغمد
تفور به فوارة مستديرة ... لها مقلة زرقاء موصولة السهد
أدرنا بها كأساً كأن حبابها ... حباب سقيط الطل في ورق الورد
لها في غدير الماء لألاء جمرة ... حكت نار ابراهيم في اللون والبرد

---

١ - الخريدة ، ٢/ ٨٧
٢ - المغرب ، ٢/ ١٩٦
٣ - الخريدة ، ٢/ ٨٥

وقال ابن صمادح : (١)

الروض يشرب والأنواء تنسكب ... والشمس تظهر أحياناً وتحتجب
وللنهار على أفنانه زهر ... كأنه فضة من فوقها ذهب

وقال أيضاً : (٢)

يا من بجسمي لبعده سقم ... ما فيه غير الدنو يبريني
بين جفوني والنوم معترك ... تصغر عنه حروب صفين
إن كان صرف الزمان أبعدني ... عنك فطيف الخيال يدنيني

أبناء المعتصم :

١ ـ عز الدولة أبو مروان عبد الله : (٣)

ترجم له المقرى وقال فيه : فتى الراح المعاقر لدنانها، المهتصر لأغصان الفتوة وأفنانها . . . نشأ في حجر أبيه نديم قهوة، ومديم صبوة، وخديم شهوة، ما شهد قتلاً ولا قتالاً، ولا تقلد صارماً إلا مختالاً . . .

وقد أثنى عليه الشاعر ابن اللبانة وقال : ما علمت حقيقة جور الدهر حتى اجتمعت ببجانة مع عز الدولة بن المعتصم بن صمادح، فإني رأيت منه خير من يجتمع به، كأنه لم يخلقه الله تعالى إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تنم من تحته خموله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت الصدأ، مع حفظه لفنون الأدب والتواريخ وحسن استماعه وإسماعه، ورقة طباعه ولطافة ذهنه . . . (٤)

ويبدو، أن أباه المعتصم، قد خصّه بولاية عهده، ورشحه للملك من بعده، وذلك لما كان يتوسّم فيه من الهمم العالية .

أما عن نظمه فقد كان : بديع الوصف، رفيع الرصف، وقد أثبت له مايشهد بإجادته وإحسانه، شهادة الروض بجود نيسانه . . . (٥)

---

١ ـ الخريدة ، ٢/ ٨٩

٢ ـ الخريدة ، ٢/ ٨٨

٣ ـ في المغرب كنيته ابو محمد، المغرب، ٢/ ٢٠١، نفح الطيب، ٧/ ٤

٤ ـ نفح الطيب ، ٣/ ٣٦٨

٥ ـ نفح الطيب ، ٧/ ٤٢

وقال ابن سعيد عن لسان الشقندي، أن عز الدولة أشعر من أبيه[1] ومن شعره:

أهوى قضيب لجين ... قد أطلع البدر فيه
إن كان موتي بلحظٍ ... منه فعيش يليه
يارب كم أتمنى ... لقياه كم أشتهيه
ولا أرى منه شيئاً ... سوى جفاء وتيه
طوبي لدار حوته ... وأمه وأبيه
بل ألف طوبي لعبدٍ ... في موضع يلتقيه

وقال الحجاري في المسهب: وما أظن أحداً قال في عظم الهم مثل قوله:[2]

إن يسلم الناس من همٍّ ومن كمدٍ ... فإنني قد جمعت الهم والكمدا
لم أبق منه لغيري ما يحاذره ... فليس يقصد دوني في الورى أحدا

وقد كتب إليه ابن اللبانة:[3]

يا ذا الذي هز أمداحي بحليته ... وعزه أن يهز المجد والكرما
واديك لا زرع فيه اليوم تبذله ... فخذ عليه لأيام المنى سلما

فرد عليه:

المجد يخجل من نقديك في زمنٍ ... ثناه عن واجب البر الذي علما
فدونك النزر من مصفٍ مودته ... حتى يوفيك أيام المنى سلما

وكان قد وقع في الاعتقال، فكتب إلى أبيه:[4]

أبعد السنا والمعالي خمول ... وبعد ركوب المذاكي كبول
ومن بعد ماكنت حراً عزيزاً ... أنا اليوم عبد أسير ذليل
حللت رسولاً بغرناطة ... فحل بها في خطب جليل
وثقفت إذ جئتها مرسلاً ... وقبلي كان يعز الرسول

فراجعه أبوه بقطعةً منها:

---

١ ـ المغرب، ٢/٢٠٢
٢ ـ نفس المصدر والصفحة
٣ ـ نفح الطيب، ٧/٤٢
٤ ـ نفح الطيب، ٧/٤١

عزيز علي ونحوي دليل ... على ما أقاسي ودمعي يسيل
وقطعت البيض أغمادها ... وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه ... ويوسف أنت فصبر جميل

٢ ـ ابنه الثاني : رفيع الدولة أبو يحي بن المعتصم

ترجم له ابن بسام في الذخيرة، وقال فيه: من بيت إمارة، والى عليها السعد طوافه واعتماره، انتجعوا انتجاع الأنواء، واستطعموا في المحل والأواء، وأبو يحي فجر ذلك الصباح، وضوء ذلك المصباح، التحف بالصون وارتدى، وراح على الانقباض واغتدى، فما تراه إلا سالكاً جدداً، ولاتلقاه إلا لابساً سؤدداً. وله أدب كالروض اذا زهر، والصبح إذا اشتهر، وقفه على النسيب، وصرفه إلى المحبوبة والحبيب: (١)

يا عابد الرحمن كم ليلةٍ ... أرقتني وجداً ولم تشعر
إذا كنت كالغصن ثنته الصبا ... وصحن ذلك الخد لم يشعر

وقال الحجاري فيه: فرع زاكٍ من تلك الشجرة الكريمة، وعارض جود من صوب تلك الديمة. طاب بين نوائب الدهر، طيب المسك بين الحجر والفهر. . . (٢)

وقال فيه صاحب سمط الجمان : ذو الخلق الكريم، والشرف الباذخ الصميم، راضع لبان الرياسة، ومرتشف مياه تلك الجلالة والنفاسة. (٣)

ومما أنشد له صاحب السمط ، قوله : (٤)

لئن منعوا عني زيارة طيفهم ... ولم ألف في تلك الطلول مقيلا
فما منعوا ريح الصبا سوق عرفهم ... وقد بكرت تندى علي بليلا
ولا منعوني أن أعل بذكرهم ... فؤاداً بما يجنى الصدود عليلا

---

١ ـ الذخيرة ، ق١ م٢ ، ص ٧٣٧
٢ ـ المغرب ، ٢/ ١٩٩
٣ ـ المصدر السابق نفس الصفحة
٤ ـ المغرب ، ٢/ ٢٠٠

وله أيضا : (١)

حبيب متى ينـأى عن العـين شخصـه ... يكـاد فؤادي أن يطير من البـين
ويـسـكـن ما بين الـضـلـوع إذا بدا ... كأن على قلبـي تمائـم من عين

وكان ينادم أبا يحي ابن مطروح ، واستدعاه يوما بقوله : (٢)

يا أخـي بل سيـدي بل سنـدي ... في مهـمات الـزمـان الأنـكـد
لح بأفـق غاب عنـه بدره ... في اخـتـفـاءٍ من عيـون الحـسـد
وتـعـجـل فحـبـيـبـي حاضر ... وفـمـي ساقٍ وكـأسي في يدي

وله أيضا : (٣)

ما لي ولـلـبـدر لم يسـمـح بزورتـه ... لعـله ترك الإجـمـال أو هجـرا
إن كان ذاك لذنـبٍ ما شعـرت به ... فأكـرم الـنـاس من يعـفـو إذا قدرا

وله أيضاً : (٤)

أخـذت أبـا عمـرٍو وإن كان جانيـاً ... عليَّ ذنـوبـاً لا تعـدد ، بالـعـتـب
فما كان ذاك الـود إلا كبـارقٍ ... أضـاء لعـيـني ثم أظـلـم في قلبـي

٣ ـ ابنه الثالث : أبو جعفر أحمد :

ترجم له الحجاري في «المسهب» ، وقال إنه : جرى في طلق أبيه وإخوته ، فأحسن في النظام إحساناً أوجب أن ينبه عليه ، فمن ذلك قوله : (٥)

أتـى بالـبـدر من فوق الـقـضـيـب ... فطارت نحـوه طير الـقـلـوب
وأشرق ما بأفـقـي من ظلام ... لنـورٍ منـه في أفـق الجـيـوب
وولى بعـد تأنـيسٍ وبـر ... كمـثـل الـشـمس ولـت للمـغـيـب

وما نقله ابن دحية في «المطرب» يعتبر شديد الإيجاز. فقد ذكر أن المعتصم أنشد لابنه الأمير

---

١ ـ نفح الطيب ، ٧/ ٤٤
٢ ـ المغرب ، ٢/ ٢٠٠
٣ ـ نفح الطيب ، ٧/ ٤٤
٤ ـ المغرب ، ٢/ ٢٠٠
٥ ـ المغرب ، ٢/ ٢٠٠

أبي جعفر هذه الأبيات : (١)

كتبت وقلبي ذو اشتياقٍ ووحشةٍ ... ولو أنه يستطع مر يسلم
جعلت سواد العين فيه مداده ... وأبيضه طرساً وأقبلت ألثم
فخيل لي أني أقبل موضعاً ... يصافحه ذاك البنان المكرم

وقد ذكره المقرى في «النفح»، ولكنه لم يذكر عنه شيئاً ذا قيمه، وكل مافعله أنه أورد له الأبيات الثلاثة السابقة . (٢)

٤ ـ أختهم أم الكرم :

ذكر الحجاري أن المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها، حتى نظمت الشعر والموشحات، وعشقت الفتى المشهور بالسّمار، وقالت فيه : (٣)

يا معشر الناس ألا فاعجبوا ... مما جنته لوعة الحب
لولاه لم ينزل ببدر الدجى ... من أفقه العلوي للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه ... فارقني تابعه قلبي

وقولها :

ألا ليت شعري هل سبيل لخلوةٍ ... ينزه عنها سمع كل مراقب
ويا عجباً أشتاق خلوة من غدا ... ومثواه ما بين الحشا والترائب

ويبدو أن المعتصم علم بذلك، فخفي أمره من ذلك الحين. والأبيات الثلاثة السابقة تكررت بعينها في «النفح»(٤) «ونزهة الجلساء»(٥) وقد دعاها المقرى: أم الكرام.

شعراء المريـــة :

تقتصر دراستنا على الشعراء الذين ولدوا في ربوع تلك المملكة، أما بقية الشعراء، كابن الحداد، وابن عبادة الوشاح، وابن فرج السميسر وغيرهم، فهم وإن أتحفوا بلاط المعتصم بروائع

١ ـ المطرب ، ص ٤٣
٢ ـ النفح ، ٣/ ٣٧١
٣ ـ المغرب ، ٢/ ٢٠٢
٤ ـ النفح ، ٤/ ١٧٠
٥ ـ نزهة الجلساء ، ص ٢٥

أشعارهم، ينتسبون إلى ممالك أندلسية أخرى. وقد آثرنا الإهتمام بأنباء المرية نفسها لأنها موضوع البحث.

وجدير بالذكر، أن هؤلاء الشعراء الذين نؤرخ لهم، كانت لهم شهرة مرموقة بين أقرانهم في البيئة الأندلسية. إلا أن ما وصلنا من أشعارهم، لايعتبر كافياً للحكم على نبوغهم وتفوقهم، أو لوضع دراسة دقيقة لخصائص الشعر عندهم.

ومما يبعث على الاستغراب. أن أصحاب المصادر قد أطنبوا في الثناء على هؤلاء الشعراء، وأشادوا بنظمهم وحسن تصرفهم، ومع هذا، فإنهم لم يدونوا لهم سوى بضع مقطوعات أو أبيات متفرقة في موضوعات مختلفة. فابن بسام مثلاً، حين يترجم لابن الشهيد يقول فيه: (وأبو حفص هذا، في وقتنا كان فارس النظم والنثر، وأعجوبة القران والعصر...) ولا يدون له سوى إحدى عشرة مقطوعة قصيرة، بعضها من ثلاثة أبيات أو أكثر قليلاً، وبعضها الآخر لايزيد عن عشرة أبيات.

وابن سعيد الأندلسي، حين يترجم لابن سفر، يقول فيه: (شاعر المرية في عصره، الذي يغني ما أنشده من شعره، عن الإطناب في التنبيه على قدره). ولا يذكر له إلا أربع مقطوعات، لاتتجاوز الواحدة منها ثلاثة أبيات.

وصاحب النفح، حين يترجم لمدغليس، يقول فيه: (وكأن مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه...) وهو لا يدون له سوى بضعة أبيات، ومقطوعة واحدة من الزجل.

وهكذا نلاحظ، أن المادة القليلة الموجودة مما نظم هؤلاء، لا تساعد على إظهارهم بمستوى الشهرة التي تتحدث عنها المصادر.

والشعراء الذين هم موضع دراستنا، هم: ابن الشهيد، ابن هرودس، ابن سفر، ابن المريني، مدغليس، ابن حزمون، والشاعرة البجانية.

وقد استثنينا من دراستنا، من كانت شهرته في غيرالنظم.

١ ـ ابن الشهيد التجيبي:

جاء في ترجمة الحميدي له، أنه: عمر بن الشهيد التجيبي أبو حفص، لا أحفظ اسم أبيه، وهذه صفة نسب إليها فغلبت عليه. وهو رئيس شاعر مشهور بالأدب كثير الشعر متصرف في

القول، مقدم عند أمراء بلده، وقد شاهدته في حدود الأربعين وأربعمائة بالمرية.(١)

وقد كرر الضبي في (البغية) الترجمة ذاتها دون أن يضيف إليها شيئاً.(٢) وقد نقل ابن سعيد عن كتاب المسهب للحجاري، أنه: شاعر المرية في زمانه، وكان مقتصراً على ملك بلده المعتصم بن صمادح، ولم يزد ابن سعيد شيئاً على ذلك إلا القليل الذي نقله عن الذخيرة.(٣)

ولم ترد له أي ترجمة في النفح، وكل ما فعله المقرى، أنه ذكره في أثناء روايته لأخبار المعتصم بن صمادح. وقد روى بيتين له في مدح المعتصم، هما:(٤)

سبط البنان كأن كل غمامةٍ ... قد ركبت في راحتيه أناملاً
لا عيش إلا حيث كنت، وإنما ... تمضي ليالي العمر بعدك باطلا

أما ابن بسام فقد خصص له فصلاً في كتابه الذخيرة، وذكر أنه: الوزير الكاتب أبو حفص عمر بن الشهيد، ونلاحظ أيضاً أنه لم يذكر اسم أبيه، لأنه، كما يبدو، اعتمد في ترجمته على ماجاء في (الجذوة). وقد امتدحه ابن بسام، وتحدث عن علو منزلته في ميدان النظم والنثر معاً. وقال فيه(٥): وأبو حفص هذا، في وقتنا، كان فارس النظم والنثر، وأعجوبة القران والعصر، ونهاية الخبر والخبر، رقم برود الكلام، ونظم عقود النثر والنظام، وهو وإن لم يزر لملك، ولم تدر عليه رحى ملك، فليس بمتأخرٍ عن طبقات المحسنين، ولا بسكيت حلبات الكتاب المجيدين. وقد أخرجت في هذا الفصل من بارع كلامه، في نثره ونظامه، ما يشهد برسوخ أعلامه، وشهرة أيامه.

ومما نقله لنا عنه في مجال النظم المقطوعات الآتية:

له من قصيدة مدح بها المعتصم:(٦)

لما دعتك المكرمات أجبتها ... لا وانياً عنها ولا متثاقلا
فهززت من أسد الرجال قوادماً ... وهتكت من برد الظلام حبائلا
وسريت في القمر المنير بمثله ... وجهاً وأعراقاً زكت وشمائلا

١ ـ جذوة المقتبس، ص ٣٠٢
٢ ـ بغية الملتمس، ص ٤٠٧
٣ ـ المغرب، ٢/ ٢٠٩
٤ ـ النفح، ٣/ ٤١٣
٥ ـ الذخيرة، ق١ م٢ ص ٦٧٠
٦ ـ الذخيرة، ق١ م٢ ص ٦٨٦

ومنها في اجتماعه بصهره ابن مجاهد :

أبدى على فرحةً بمحمدٍ ... أبدت مسالك في الصفاء جلائلا
فلئن غدا بك للقلوب مباهياً ... فلقد رأى ملكاً أغر حلائلا
سبط اليدين كأن كل غمامةٍ ... قد ركبت في راحتيه أنامِلا
وأما وحقك إنه الحق الذي ... بذالحقوق مسامياً ومساجلا
لقد احتملنا في مغيبك لاعجاً ... أنحى علي كبدٍ وأثقل كاهلا

ومنها :

تفديك انفسنا التي ألبستها ... حللاً من النعمى وكن عواطلا
كانت نواك البحر يزحر موجه ... فالآن صار لنا إيابك ساحلا
لا عيش إلا حيث أنت وإنما ... تمضي ليالي العمر بعدك باطلا
لا عطلت منك الحياة فإنها ... لولاك ماسرت لبيباً عاقلا

وله من أخرى : (١)

سقى كل غيث صادقٍ البرق وابل ... منابت نوار الربى والخصائل
فروى غصوناً كالقدود تطلعت ... من اوراقها في مثل خضر الغلائل
خليلي عوجا بي على الربع دارساً ... نحى رياضاً أحدقت بجداول
ملاعب كاسات ونزهة أعينٍ ... ومسلى لمشتاقٍ وذكرى لغافل
وأحسن من روضٍ تحلى بنوره ... محيا ابن معنٍ في حُلًى الفضائل
جواد كأن الأرض جمعاء راحة ... له وبحور الأرض خمس أنامل
ليهن تجيباً أنها عندما اغتدت ... قبيلاً له سادت جميع القبائل
تكسد سوق الدر فيك قصائدي ... وتزرى بعرف المسك عنك رسائلي
جللت فجل القول فيك وإنما ... يقد لقدر السيف قدر الحمائل
يزين شعري أنه فيك سائر ... وزين عنان الطرف يمنى المجاول

وله من أخرى وكان المعتصم قد هجر النبيذ زمناً :

عسى دهرنا أن يكف الخطوبا ... ويجعل منك لكأسٍ نصيبا
وشت حادثات الليالي بها ... فأعرضت عنها وكانت حبيبـ

١ ـ الذخيرة ، ق١ م٢ ص ٦٨٧ . القصائد الثلاثة في نفس الصفحة .

وكم من ذمامٍ لها مثله ... يحل الحقود ويثني القلوبا
وأنت ابن معنٍ على خلقةٍ ... تقيل المسيء وتمحو الذنوبا

وله فيه من أخرى :

هجر المدام وكان يألف وصلها ... ملك جليل في الملوك عظيم
فاصفرت الأقداح من جزعٍ ولو ... يسطعن لم يأرج لهن نسيم
وتطلع الساقي يؤمل عودةً ... ليعود عهد بالكرام كريم

وتشغل بقية قصائده الصفحات، ٦٨٨ إلى ٦٩١. أما فيما يتعلق بنثره، فقد دون لنا ابن بسام إحدى رسائله، وكان قد خاطب بها بعض إخوانه. ودون له كذلك مقامة مسرفة في الطول حذف منها ابن بسام بعض فصولها.

أبو الحكم ابن هرودس :

هو أبو الحكم أحمد بن هرودس. كاتب عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة. قال عنه ابن سعيد: أخبرني والدي أنه كان بينه وبين عمه أبي جعفر مراسلة، وأن أبا الحكم كتب له: (١)

يا سمِيّ في علم مجدك ما يحـ ... ـتاج فيه هذا النهار المطير

فإن مخاطبته للوزير أبي جعفر، وهو أحمد بن عبد الملك بن سعيد، ياسَمِيٍّ تؤكد أن اسمه (أحمد). وابن سعيد الذي يترجم له، يأخذ مباشرة عن أبيه، وكان قريب العهد بابن هرودس. وهذا يعني عدم إمكانية وقوع خطأ في نقل الاسم...؟
فمن يكون ابن هرودس الذي يترجم له ابن الأبار، إذن...؟

فقد جاء في «التحفة»، أنه: (٢) أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هرودس ـ بفتح الهاء والراء وسكون الواو وفتح الدال المهملة وفي آخره سين مهملة ـ الأنصاري الكاتب من أهل حصن مرشانة من عمل المرية، وسكن مالقه وتوفى بمراكش في الطاعون الواقع بها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. وأخبرنا أبو القاسم بن بقى، قال: أنشدنا الكاتب أبو الحكم بن هرودس لنفسه:

---

١ ـ المغرب، ٢/ ٢١٠
٢ ـ تحفة القادم، ص ٧٢. انظر أيضاً، الوافي بالوفيات، ٦/ ٥٧

إبـراهـيـم إن المـوت آت وأنـت من الـغـوايـة في سبـات
رجـاؤك مثـل ظل الـرمـح طولاً وعـمـرك مثـل إبهـام الـقـطاة

فالشاعر يخاطب نفسه (إبراهيم) وهذا يؤكد صحة اسمه كما ورد في ترجمة ابن الأبار له. وفي المغرب ما يؤكد صحة التسمية (أحمد). وبهذا ليس من السهل أن نتخيل أن الترجمتين لشخص واحد. فربما هما أخوان اشتركا في اللقب وكلاهما كاتب. . . ؟

والذين ترجموا لابن هرودس، أخذوا مباشرة عن «التحفة»، كما نجد في «المقتضب» وكتاب «الوافي بالوفيات». أما المقرى فهو يأخذ عن ابن سعيد مباشرة ولم يتعرض لذكر اسمه، للإشكال الذي نذكره، على مايبدو، فقد ذكره بكنيته (أبو الحكم) فقط. بينما نجد في مقدمة ابن خلدون (ابن بهرودس)، بإضافة باء في أول الاسم، فربما كان ذلك تصحيفاً. فقد قال ابن خلدون في أثناء حديثه عن الشعراء[1]. . . واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين. محمد بن أبي الفضل بن شرف، إلى ان قال:

وابن بهرودس الذي له:

يا ليـلة الـوصـل والـسـعـود باللـه عـودي

ومهما يكن من أمر ، فإن أبا الحكم بن هرودس من شعراء المرية، ويبدو أنه من الشعراء المقلين. فالمصادر لم تحفظ لنا إلا القليل من أشعاره، مع علمنا أنه كان من الوشاحين. وله موشح جميل في عثمان بن عبد المؤمن، هو:[2]

ياليـلة الـوصـل والـسـعـود باللـه عـودي
كم بت في ليـلة الـتـمـني
لا أعـرف الهـجـر والـتـجـني
ألـثـم ثغـر المـنـى وأجـني
من فوق رمـانـتي نهود زهـر الـخـدود
يا لائـمـي إطـرح ملامـي
فلا براح عن الـغـرام

١ ـ مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٨٥
٢ ـ المغرب ، ٢/ ٢١٥

إلا انعكافي على مدام
بسمع صوت ونقر عود من كف خود
مدح الأمير الأجل أولى
السيد الماجد المعلى
تاج الملوك السنى الاعلى
أفضل من سار بالجنود تحت البنود
أكرم بعلياه من همام
إمام هدىٍ وابن الإمام
مبدد الروم بالحسام
يعقد في هامة الأسود بيض الهنود
لله يوم أغر زاهر
قد حل بالأندلوس آمر
قالوا وقد وافت البشائر
بالملك السيد السعيد أبي سعيد

وكتب أبو الحكم بن هرودس إلى أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، في يوم بارد بغرناطة: (١)

يا سَمِيَّ في علم مجدك ما يحـ تاج فيه هذا النهار المطير
ندف الثلج منه قطناً علينا فغدونا بعدلكم نستجير
والذي أبتغيه في اللحظ منه ورضاه في كل أمر يسير
يوم قر يود من حل فيه لو تبدىً لمقلتيه سعير

ومن شعره قوله: (٢)

لي من وجهك بدر قصرت عنه البدور
أي أفقٍ لحت فيه جنح ليلٍ لا ينير
ليس إلا بك يامو لاى يحتل السرور

ومن نظمه: (٣)

إذا ضاقت عليك فول عنها وسر في الأرض واختبر العبادا

١ ـ نفح الطيب، ٤/ ٢٠١ • ٢ ـ المغرب، ٢/ ٢١٠ • ٣ ـ نفح الطيب، ٤/ ٢٠٢

ولا تمسك رحالك في بلادٍ غدوت بأهلها خبراً معادا

٣ ـ أبو الحسين بن سفر :

هو أبو الحسين محمد بن سفر، كما ترجم له ابن سعيد في «المغرب». أما في «تحفة القادم»، فترجمته: أبو عبد الله محمد بن سفر الأديب، منسوب إلى جده، وأصحابنا يكتبونه بالصاد، وكان بإشبيلية وهو من ناحية المرية. .[١]

أثنى عليه ابن سعيد وقال : شاعر المرية في عصره، الذي يغني ما أنشده من شعره، عن الإطناب في التنبية على قدره، فمن ذلك قوله :[٢]

لو أبصرت عيناك زورق فتيةٍ يبدي بهم[٣] لج السرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شراعه كل يمد بكاس راحٍ راحه
لحسبته خوف العواصف طائراً مد الحنان على بنيه جناحه

وقوله :

يا من رأى النهر استثار به الصبا خيلاً لإرهاب الغصون الميد
لما رأتها سددت تلقاءه قرنت به خيلاً تروح وتغتدي
وغدت تدرعه ولم تبخل لها شمس الضحى بمسامر من عسجد

وقوله :

وقهوةٍ شعشعت فثارت فأكثر القول مبصروها
لا تنكروا غيظها امتعاضاً حين غدا بعلها أبوها

وقوله :

ألا هاتها من يدي مائسٍ يوافيك بالأمر من فصه
يغني ويسقى ومهما انثنى أمال القضيب على دعصه
إذا أنا لاحظته راقصاً خلعت الفؤاد على رقصه

---

١ ـ تحفة القادم ، ص ١٤٧

٢ ـ المغرب ، ٢/٢١٢

٣ ـ في التحفة : أبدى بهم نهج ، وفي الرايات : يبدى لهم بهج

وقال يصف المد والجزر في نهر إشبيلية وأبدع في ما اخترع: (١)

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطيه يطلب ثاره
وتضاحكت ورق الحمام بأيكها ... هزءاً فضم من الحياء إزاره

وقد أعجب المقرى بهذا الشاعر، فقال فيه: (٢) ولله در محمد بن سفر أحد شعرائنا المتأخرين عصراً، المتقدمين قدراً، حيث جعل السعي إلى محبوبته فقال وليته لم يزل يقول مثل هذا، فبمثله ينبغي أن يتكلم، ومثله يليق أن يدون:

وواعدتها والشمس تجنح للنوى ... بزورتها شمساً وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشي سنا الصبح في الدجى ... وطوراً كما مر النسيم على النهر
فعطرت الآفاق حولي فأشعرت ... بمقدمها والعرف يشعر بالزهر

وقد أثنى عليه المقرى في مكان آخر من كتابه، وقال: ومن أحسن ماجاء من النظم في الأندلس قول ابن سفر المريني(٣)، والإحسان له عادة:

في أرض أندلسٍ تلتذ نعماء ... ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع ... ولا تقوم بحق الأنس صهباء
وأين يعدل عن أرض تحض بها ... على المدامة أمواه وأوفياء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها ... وكل روضٍ بها في الوشى صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها ... والخز روضتها ، والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به ... من لا يرق ، وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ... ولا انتشار لآلي الطل أنداء
وإنما أرج الند استشار بها ... في ماء وردٍ فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنفه ... وكيف يحوي الذي حازته إحصاء
قد ميزت من جهات الأرض حين بدت ... فريدةً تولي ميزها الماء
دارت عليها نطاقاً أبحر خفقت ... وجداً بها إذ تبدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طربٍ ... والطير يشدو وللأغصان إصغاء
فيها خلعت عذارى ما بها عوض ... فهي الرياض ، وكل الأرض صحراء

١ ـ تحفة القادم ، ص ١٤٧
٢ ـ نفح الطيب ، ٣/ ١٩٨
٣ ـ لعله : المريي، نسبة إلى المرية، لأن الشاعر لم يعرف أنه كان يتجول ببلاد المغرب. انظر النفح، ١/ ٢٠٩

٤ ـ أبو الحسن على بن المريني :

ترجم له ابن سعيد في «المغرب»، وقال فيه : (١) شاعر وشاح مشهور ببلاد المغرب، صحبه والدي، ومات في مدة منصور بني عبد المؤمن، وكان كثير التجول. ومن شعره قوله في أحمد بن كمال عظيم المرية :

رويدك حتى تجتني الورد والزهرا ... بخد أبي أن يعرف الهائم الصبرا
وثغرٍ أرى ألحاظنا معجزاته ... فأبدى لنا المرجان بالعذب والدرا

ومنها :

سألت محيا الصبح من أين نوره ... فقال سل الشمس المنيرة والبدرا
فأجمع كل أنه نور أحمدٍ ... ولولا نداه لم نر القطر والبحرا
كريم به أحيا الإله بلادنا ... وعمرها من بعد ما أصبحت قفرا

ومن شعره أيضا قوله : (٢)

رأيناك مثل البحر يورد ماؤه ... مراراً فلا يفنى ولا يتكدر
ونشكر ما أوليت من كل غايةٍ ... وما قد تركنا من أياديك أكثر

وقد ذكره المقرى في موضعين من كتابه نفح الطيب، الأول، في أثناء حديثه عن الشاعر قاسم بن عبود الرياحي، والمناسبة التي جمعته بابن المريني(٣). وأنشد له في الموضع الثاني، موشحة قالها في سد قرطبة، وهي : (٤)

في نغمة العود والسلافة ... والروض والنهر والنديم
أطال من لامني خلافه ... فظل في نصحه مليم
دعني على منهج التصابي ... ما قام لي العذر بالشباب
ولا تطل في المنى عتابي ... فلست أصغى إلى عتاب
لا ترج ردي إلى صواب ... والكأس تفتر عن حباب
والغصن يبدي لنا انعطافه ... إذا هفا فوقه النسيم

---

١ ـ انظر الترجمة والأبيات في المغرب ، ٢/٢١٣
٢ ـ المصدر السابق نفس الصفحة
٣ ـ نفح الطيب ، ١/٤٦٨
٤ ـ نفح الطيب ، ١/٤٧٦

والـروض أهـدى لنـا قطافـه ... واختـتـال في برده الـرقـيـم
ياحـبـذا عهـدي الـقـديـم ... ومـن به همت مسـعـدي
ريـم عن الـوصـل لا يريـم ... مولـع بالـتـودد
ما تم إلا به الـنـعـيـم ... طوعـاً على رغـم حسـدي
معـتـدل الـقـد ذو نحـافـة ... أسـقـمـنـي طرفـه الـسـقـيـم
ورام طرفي به انـتـصـافـه ... فخـد في خده الـكـلـيـم
غض الـصـبـا عاطـر المـقـبـل ... أحـلى من الأمـن والأمـل
ظامـي الحـشـا مفـعـم المخـلخـل ... حلو الـلـمـى ساحـر المـقـل
لكـل من رامـه توصـل ... لم يخش رداً بما فعـل
أشـكـو فيـبـدي لي اعـتـرافـه ... إن حاد عن نهجـه الـقـويـم
لا أعـدم الـدهـر فيـه رافـه ... فحـق لي فيـه أن أهـيـم

لله عصر لنـا تقـضـى ... بالـسـد والمـنـبر الـبـهـيـج
أرى ادكـاري إلـيـه فرضـا ... وشـوقـه دائـمًا يهيـج
فكـم خلعـنـا عليـه غمـضـا ... ولـلـصـبـا مسرح أريـج
ورد أطـال المـنـى ارتـشـاقـه ... حتـى انـقـضـى شربـه الـكـريـم
لله ما أسرع انـحـرافـه ... وهـكـذا الـدهـر لا يديـم
يا من يحث المـطي غربـا ... عرج على حضرة المـلوك
وانـشـر بها إن سفـحـت غربـا ... من مدمـع عاطـل سلوك
واسـمـع إلى من أقـام صبـاً ... واحـك صداه لافض فوك
بلغ سلامـي قصر الـرصـافـة ... وذكـروا عهـدي الـقـديـم
وحـي عني دار الخـلافـة ... وقـف بها وقـفـة الـغـريـم

نلاحظ أن هذا الموشح يتألف من ستة أقفال وخمسة أبيات، وهو موشح تام، والخرجة فيه عامية، وهذا هو أصل فن التوشيح.(١) وقد أورد ابن سعيد موشحة أخرى نسبها لابن المريني، ولكنها تروى في نفس الوقت لليكي.(٢)

٥ ـ الشاعر مدغليـس :

---

١ ـ راجع كتابنا : الجديد في فن التوشيح ، ص ١٥٩
٢ ـ المغرب ، ٢/٢١٨

هو أحمد بن الحاج المعروف بمدغليس الزجال، كان في دولة بني عبد المؤمن.(١) ومدغليس، اسم مركب من كلمتين، أصله مضغ الليس. والليس: جمع ليسة، وهي ليقة الدواة. وذلك أنه كان صغيراً بالمكتب، فمضغ ليقةً، فسمي بذلك. ولسان المغاربة والمصريين يبدلون الضاد دالا. فانطلق عليه هذا الاسم، وعرف به. وكنيته في ديونه أبو عبد الله بن الحاج.(٢)

ترجم له المقرى في «النفح»، وقال فيه: وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الازجال، خليفة ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام، بالنظر إلى الإنطباع والصناعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغليس ملتفت للفظ، وكان أديبا معرباً لكلامه مثل ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه.(٣)

وهكذا نلاحظ ، أن شهرة مدغليس انحصرت في مجال الازجال، وبمعنى آخر، إنه لم يحترف الشعر الفصيح لعدم تناسبه مع طبيعة ميوله وأهوائه، فالقصائد التي نظمها على أوزان العرب وأودعها ديوانه التزم فيها اللحن وابتعد عن الإعراب .

والحقيقة أن تاريخ ظهور الأزجال ، يعود إلى الحقبة التي اجتاحت خلالها جيوش يوسف بن تاشفين بلاد الأندلس، حيث برز كعنصر يشكل الغالبية العظمى من سكان البلاد. وقد تهيأت لسكان الاندلس، وكنتيجة حتمية لتعدد العناصر السكانية المختلفة الألسن، لغة عامية ذات خصائص مميزة، هي تلك اللغة التي صاغوا بها أزجالهم .

ولم يكن مدغليس المخترع الأول لهذا الفن، بل سبقه إليه وأبدع فيه ابن قزمان. وهذا الأخير يعترف أن صاحب الرياسة والنبوغ في إمارة الزجل: الشيخ أخطل بن نمارة، فإنه نهج الطريق، وطرق فأحسن التطريق، وجاء بالمعنى المضيء والغرض الشريف، طبع سيال، ومعان لا يصحبه به جهل الجهال، يتصرف بأقسامه وقوافيه، تصرف البازي بخوافيه ويتخلص من

---

١ - المغرب ، ٢/ ٢١٤

٢ - العاطل الحالي ، ص ١٣

٣ - نفح الطيب ، ٣/ ٣٨٥

التغزل إلى المديح، بغرض سهل وكلام مليح . . .[1]

ولكن عندما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق، مال إليه الناس وصار هو الإمام بعد ابن نمارة .[2]

والازجال تختلف في طريقة بنائها عن الموشحات، بل هي أقرب إلى نظام القصيدة الشعرية منها بفن التوشيح، ليس من حيث الشكل، فالزجل في هذا يسير على نظام الموشح الذي تتعدد فيه القوافي، وإنما من حيث الطريقة في بناء هيكل الزجل، فالزجال يبدأ بالمطلع ويستمر في النظم حتى الانتهاء من زجله، فليست لديه خرجة يتقيد بها، كالخرجة التي نجدها في الموشحة، بل إن الذي يقوم مقام الخرجة في الزجل، كما يبدو، هو المطلع نفسه. ولهذا فإن الدور الأخير في الزجل لا نلاحظ فيه ما يشترط في الدور الذي يسبق الخرجة في الموشحة، وهو أن يتضمن كلمة: قال أو أنشد أو غنى . .[3]

ويبدو أن الزجالين ، ومنهم مدغليس، أول مانظموا الأزجال: جعلوها قصائد مقصدة، وأبياتاً مجردة في ابحر عروض العرب، بقافية واحدة، كالقريض، لا يغايره بغير اللحن واللفظ العامي وسموها القصائد الزجلية. فإذا حكم عليهم فيها لفظة معربة غالطوا فيها بالإدماج في اللفظ، والحيلة في الخط، كالتنوين، فإنهم يجعلون كل منون منصوبا أبدا، ويكتبون اللفظة بمفردها مجردة من التنوين، وبعدها ألفاً ونونا مثل أن يكتبوا «رجلا» على هذه الصورة «رجل ان»، وكالمد، فإنهم إذا اضطروا إلى لفظة «إحياء» كتبوها «إحيای»، ولفظوا بها كذلك .[4]

وذكر ابن حلى في كتابه مجموعة قصائد أخذها من ديوانه، منها هذه القصيدة، وهي في بحر المديد :[5]

مض عني من نحبو وودع ... ولهيب الشوق في قلبي قد اودع
لو رأيت كف كن نشياعوا بالعين ... وم ندري أن روحي نشيع

١ ـ انظر ديوان ابن قزمان ، ص ٢
٢ ـ العاطل الحالي ، ص ١٣
٣ ـ الجديد في فن التوشيح ، ص ٢٦٧
٤ ـ العاطل الحالي ، ص ١٤
٥ ـ العاطل الحالي ، ص ١٥

من فظاعة ذا الصبر كنت نعجب ... حتى رأيت ان الفراق منو افظع
لس نشك أنو حمل قلبي ماعو ... فأيش ذا في صدري يضرب ويوجع
لا صبر عنو ولا نوم ولا عيش ... ولامحبوب قل لي لي حيله نرجع
كيجي الموت عندي لو جا إليا ... أن ياقوم لس لي في العيش مطمع
سعدات هي حتى في العشق ياقوم ... قيس وغيلان ذكرهم لس يسمع
وعلى ما ات حلو فمك أحلى ... وعلى ما أت رفيع عينك أرفع
ته واتدلل واعمل مرادك ... انت أملح أهلن الدنيا أجمع
وأبو عبد الله ابن صناديد ... أفضل الدنيا وأسيد وأرفع
يلتقى الأمداح بوجهاً مسامح ... وملاً ياسر وكفا لا تمنع

وله قصيدة في بحر الرمل : (٣)

الهوى حملني ما لا يحتمل ... ترد الحق : لسن لمن يهوى عقل
لس نقع في مثلها ما دمت حي ... إن حماني من ذا تأخير الأجل
خذ نقل لك أيش جرى لي يافلان ... رترى أني صبور نعمة جزل
اشتغل قلبي بذا العشق زمان ... فسقط لي نقطة الغين واشتعل
ونحير في الذي لس ينطفي ... ونرى عيني تبكي بالقلل
لقد أخزلني جمال هذا المليح ... ولكن معذور أنا هو ينخذل
الحلاوة والعقل والإنسباك ... والبراعة والندارة والشكل

ويشير ابن حلي إلى أن الزجالين لم يستمروا في نظمهم على ذلك النسق : فهذه القصائد لما كثرت واختلفت، عدلوا عن الوزن الواحد العربي إلى تفريغ الأوزان المتنوعة . وتضعيف لزومات القوافي، ليكون ذلك فناً لهم بمفردهم . وذلك لأنهم لما لحنوا تلك القصائد بألحان طيبة السماع، رائقة في الأسماع، متناسبة في الأنغام والإيقاع، واضطر جدول كل شعر منها إلى محط ينتهي إليه ، ومقطع يقف الدور عليه ، وكانت هممهم الشريفة، وطباعهم اللطيفة، ناهضة بالجمع بين أصول الطرب، وصحة أوزان العرب، ولم يكن لهم اطلاع على ما اخترعه الأعاجم من تلفيف الترانات والأوازات والأوانكشتات، المتمم بها نقص الأدوار والسربندات؛ وضعوا على وزن كل جزء منها كلاما يوازنه في الثقل والخفة، ويقوم مقامه عند الترنم والغناء. وسموها مع اتصالها بأقفال الزجل: الخرجات. ومع تجريدها عنها ملا الزخمات. وسموا ما قبلها بالأغصان والأقفال،

٣ ـ العاطل الحالي ، ص ١٦

ومجموعها بالأبيات. ثم خالفوا بين الأوزان من غير أن يخسروا الميزان. فانتقلت تلك القصائد إلى أوزان مختلفة الوضع، بحسب التقطيع والتفريغ، والترصيع والتصريع. وامتحنوا بها كثيراً من فضلاء الأدب، وفصحاء العرب. فلم يستطع ذلك إلا من سبر أقوالهم، وخبر أحوالهم، وسلك مضمارهم واقتفى آثارهم. فكم من حذا حذوهم فساقته صحة اللسان إلى خسر الميزان. فمنهم من زاحف فأخطأ في الوزن، ومنهم من أعرب فوقع في اللحن، ومنهم من أوطأ في قوافيه، ومنهم من أضعفه استعمال القوى فيه، ومنهم من ألغى فلغا، ومنهم من بغى الفصاحة فبغى، ومنهم من همز وشدد، ومنهم من حار وتردد. (١)

خصائص الزجل عند مدغليس :

كان مدغليس من جملة الزجالين الذين استعملوا اصطلاحات متعددة، جمعوا في أكثرها بين الضدين، منها على سبيل المثال: زيادة حرف في الكلمة وانقاص حرف من أخرى. فمثال الأول، قول مدغليس في مطلع إحدى قصائده الزجلية :

الله يعلم ما بقلبي وبيه ... لقد اتحكم هذا العشق فيه

وأصل الكلمة «تحكم» فزادها ألفا.

والثاني ، وهو انقاص حرف من أصل الكلمة، كما في قوله :

إنما حق ندرى من اين مجيك ... شمتو فيك أنفاس الذي شيعوك

وأصل الكلمة «شممت».

* ـ ومنها زيادة همزة غير أصلية في كلمة، وإنقاص همزة أصلية في أخرى. فمثال الأول قوله :

من أشوت أكبادي ... وابكت اجفاني

الله لا ينساها ... مقدار ما تنساني

وأصل الكلمة «شوت» بغير همزة.

والثاني ، هو حذف الهمزة الأصلية، كقوله :

لس نتب عن ذي الشريبة ... لو نهيت السبت والحد

فقد اعرت آذاني للوم ... ودفعتوا جلدي للحد

١ ـ العاطل الحالي ، ص ٢٢

يريد «السبت والاحد»، فحذف الهمزة.

* ـ ومنها زيادة مدة في الكلمة غير أصلية وإسقاطها من أخرى. وفي إسقاط المدة الأصلية قوله في مطلع زجل:

ثلاث أشيا في البساتين لس تجد في كل موضع
النسيم والخضرة والطير شم وتنزه واسمع

والاصل في «أشيا» المد.

* ـ ومنها تشديد المخفف وتخفيف المشدد. فالأول مثل تشديد حروف الجر، في مثل: منه وعنه، كقول مدغليس في مطلع زجل:

قد رحلت أنا وقلبي أش يكون مني ومنو
ولا يشفقوا عليا ذي الملاح ولا يحنو

وكتشديد المصغرات، مثل: خديد وفميم في قول مدغليس في خرجة بيت:

الكبيبة والجبيبة والفميم والخديدات
هذا هو الموت الاحمر الذي سمعنا عنو

ففي هذه الخرجة مثالان أحدهما لفظة «الفميم» والأخرى لفظة «عنو». وكقوله في مطلع قصيدة:

أنا تايب من هوى يا مسلمين الله يجعل قلبي في يد أمين

والأصل في «اليد» عدم التشديد.

والثاني: وهو تخفيف المشدد كقول مدغليس في إحدى قصائده:

على داريـن عبرت أو منها جيت أن قط لس بذا الذكا ندروك

والأصل في لفظ «قط» التشديد.

* ـ ومنها تحريك المسكّن، وتسكين المحرك. كقول مدغليس:

الهوى حملني ما لا يحتمل ترد الحق: لس لمن يهوى عقل

فاللام في «عقل» ساكنة لتقييد القافية، وما قبلها محرك، وكان في الأصل ساكناً.

والثاني، وهو تخفيف المحرك، كقوله:

فترى العالم يطوفوا بقصرك ويقيموا يدك الحجر الأسود

فسكن الجيم من لفظة «الحجر».

* ـ ومنها إشباع الحركة حتى تصير حرف علة، وإسقاط حرف العلة والاستغناء عنه بالحركة، فالأول إشباع الحركات الثلاث حتى ينشأ عنها حرف يناسبها. فأما إشباع الضمة حتى تصير واواً، قول مدغليس:

توقد أنفاسك الذكية سماع في قلبنا متى ما نستنشقوك

فالواو في لفظة «نستنشقوك» ناشئة عن إشباع ضمة القاف قبلها.

* ـ ومنها تذكير المؤنث، وتأنيث المذكر، كقوله في مطلع إحدى قصائده:

عنقا مخلخل وشعراً أسود وعينا اشهل أي قلب يرقد

فقد وصف العين وهي مؤنثة، بوصف المذكر.

والثاني، هو تأنيث المذكر، كقوله في إحدى قصائده:

وفميمه حلوا حمرا صغيرة بضريسات دق بيض مستوية

والفم مذكر بلا شك.

* ـ ومنها إقامة الحرف الواحد مكان كلمة. فيقيمون الكاف مقام «كان» التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، والخاء مقام «خذ» التي هي فعل أمر من «الأخذ».

ومثال الأول قول مدغليس:

وكنحلف أن لا نعشق ابدا لولا ما نخشى بشر من اليمين

يريد «وكنا نحلف».

ومنها التصرف في صيغة اللفظة الصحيحة، ونقلها إلى صيغة أخرى، بزيادة أو نقصان في الحروف أو تبديل لإقامة الوزن، كقول مدغليس:

لس لنا إلا نخلي ذا الفضول أيش نرى منو لهول العاشقين

يريد بقوله «لهول»: لهؤلاء.(١)

---

١ ـ انظر في خصائص زجل مدغليس، العاطل الحالي، ص٢٧ وما بعدها

٦ ـ الشاعر ابن حزمون :

هو ابو الحسن بن حزمون، ترجم له صاحب زاد المسافر أبو بحر صفوان بن إدريس وقال فيه: صاحبنا قديمًا، ومن أقدم حقه تقديمًا وله محاسن فيما أثبت منها دليل وقد يدل على الكثير، القليل له من قصيد.(١)

أعيت على الأوهام تلك العلى ... واستعجمت من وصلهن الفصاح
لا تدرك الغايات إلا منىً ... لا يجتلي البارق إلا التماح

وله يرثي الشيخين أبا عبد الله بن حميد وأبا القاسم بن حبيش: (٢)

إلفان كانا في حياتهما وقد ... ماتا وضمهما جميعاً موضع
يا مغرب القمرين ليتك مطلع ... أوليت أوليت الذي تستودع

ومنها :

تبكي الشريعة وابن نوحٍ ضاحك ... إن السفيه بكل شيء مولع
حسب ابن نوحٍ أنه عمل كما ... جاء الكتاب به الذي هو نتبع

وكتب إلى صاحب كتاب زاد المسافر بمناسبة عودته من سفره: (٣)

ما شئتما الآن للزمان ... قد جاد لي بالمنى زماني
أي يدٍ للزمان عندي ... أدنى بنانٍ لها بناني
وخير شيءٍ أسداه دهري ... إلي مما به حباني
لقيا ابن إدريس بعد بينٍ ... غادرني في يديه عان
أحيا أبو البحر حين حيا ... ميت الأماني والأمان

---

١ ـ زاد المسافر ، ص ١٠٦

٢ ـ الشيخ أبو عبد الله هو: محمد بن جعفر بن احمد بن خلف بن حميد بن مأمون الأموي من أهل بلنسية، ولي قضاء بلده. . . توفي في مدينة مرسية سنة ٥٨٦هـ.

الشيخ أبو القاسم هو: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أبي عيسى الأنصاري يعرف بابن حبيش من أهل المرية آخر أئمة المحدثين بالمغرب. توفي بمدينة مرسية سنة ٥٨٤هـ. وابن نوح هو: أبو عبد الله بن نوح من أهل مرسية محدث أحد مشائخ ابن الأبار. انظر زاد المسافر ص١٠٧.

٣ ـ زاد المسافر ، ص١٠٧، ١٠٨ والشطر الأول من البيت الثالث مختل الوزن

وقال ابن سعيد الأندلسي فيه : [1]

صاعقة من صواعق الهجاء ، عاصر ابن عنين، وكان هذا في المغرب وهذا في المشرق، وأكثر قوله في طريقة التوشيح. ومن هجوه في طريقة الشعر قوله:

تأملت في المرآة وجهي فخلته ... كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو
إذا شئت أن تهجو تأمل خليقتي ... فإن بها ماقد أردت من الهجو
كأن على الأزرار مني عورة ... تنادى الورى غضوا ولا تنظروا نحوي
فلو كنت مما تنبت الأرض لم أكن ... من الرائق الباهي ولا الطيب الحلو
وأقبح من مرآي بطني فإنه ... يقرقر مثل الرعد في مهمهٍ جو
وإلا كقلبٍ بين جنبي محمدٍ ... سليل بن عيسى حين فر ولم يلو
تميل بشدقيه إلى الأرض لحية ... تظن بها ماءً يفرغ من دلو
ثقيل ولكن عقله مثل ريشة ... تصفقها الأرواح في مهمه دو

وكان لابن حزمون موشحات عديدة أكثر فيها من الفحش وذكر السوءات، مما تسبب في عدم تدوينها. وقد هجا القاضي القسطلي، وكان أخفش: [2]

تخونك العينان ... يا أيها القاضي فتظلم
لا تعرف الأشهاد ... ولا الذي يسطر ويرسم

ونلاحظ أن تلك المقطوعة «قفل» من موشح له. وله أيضا من موشح آخر:

يا ناقصاً في كمال
نقص الحرب الزائد في الأشباح

وجاء في المغرب أيضا أن ابن حزمون كانت له مقدرة على مضايقة القوافي، كقوله في رثاء ابي الحملات قائد الأعنة بمدينة بلنسية وقد قتله النصارى: [3]

يا عين بكي السراج ... الأزهرا النيرا اللامع
وكان نعم الرتاج ... فكسرا كي تنثرا مدامع
من آل سعد أغر ... مثل الشهاب المتقد
بكى جميع البشر ... عليه لما أن فقد

١ ـ المغرب ٢/ ٢١٤ ٢ ـ المغرب ، ٢/ ٢١٦ ٣ ـ المغرب ، ٢/ ٢١٧

والمشرفي الذكر والسمهري المطرد
شق الصفوف وكر على العدو متئد
لو إنه منعاج على الورى من الثرى أو راجع
عادت لنا الأفراح بلا افترا ولا امترا تضاجع
نضا لباس الزرد وخاض موج الفيلق
ولم يرعه عدد ذاك الخميس الأزرق
والحور تلثم خد أديمه الممزق
وكان ذاك الأسد في كل خيلٍ يلتقي
إذا رأى الأعلاج وكبرا ثم انبرى يماصع
مضي بنفسٍ تهاج مصبرا مصطبرا وطائع
وباعها في الهياج لقد درى ماذا اشترى ذا البائع
ماء المدامع صاب عليك أولى أن يجود
سقى البرية صاب رزء أحلك اللحود
فكل خلق أصاب إلا النصارى واليهود
ناديت قلباً مصاب يجرى على الميت العهود
يا قلبي المهتاج تصبرا زان الثرى مدافع
ابن أبي الحجاج فهل ترى لما جرى مدافع

وذكره المقرى في نفح الطيب. ونقل بعض أخباره، منها: أنه كان لابن حزمون بمدينة مرسية محبوب يدعى أبا عامر، وسافر أبو الحسن، فبينما هو بخارج المرية إذ لقى فتى يشبه محبوبه، وسأله عن اسمه، فأخبره بأنه يدعى أبا عامر، فقال ابن حزمون: (١)

إلى كم أفر أمام الهوى وليس لذا الحب من آخر
وكيف أفر أمام الهوى وفي كل وادٍ أبو عامر

وقد عده المقرى من بين المشهورين في ميدان التوشيح، بعد ابن زهر وابن حيون، وقال على لسان ابن الرائس، أن يحي الخزرجي دخل عليه في مجلسه، فأنشده موشحة لنفسه، فقال ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً من التكلف، فقال: على مثل ماذا؟ فقال: على مثل قولي: (٢)

١ ـ نفح الطيب، ٣/ ٤٦٥
٢ ـ نفح الطيب، ٧/ ٩

يا هاجري هل إلى الوصال منك سبيل
أو هل يرى عن هواك سال قلب العليل

٧ ـ الشاعرة الغسانية البجانية :

معلوماتنا عنها ضئيلة جداً، فلسنا نعرف شيئا عن اسمها، سوى أنها الغسانية البجانية. ومعظم من ترجموا لها نقلوا مباشرة عن «الجذوة»، وصاحب الجذوة يقول: إن الرئيس أبا الحسن عبد الرحمن بن راشد الذي ذكرها له، لم يعرف اسمها. وكل ما قاله إنها كانت شاعرة مشهورة تمدح الملوك في مدينة بجانة.(١)

ويروى ابن سعيد عن الحجاري صاحب كتاب «المسهب»، أنها كانت في مدة ملوك الطوائف، أي في المائة الخامسة، ولم يزد شيئاً على ذلك.(٢) ويذكر المقرى في أثناء حديثه عن النساء الشاعرات في الأندلس، أنها: الشاعرة الغسانية البجانية ـ بالنون ـ نسبة إلى بجانة. وذكر لها بيتين فقط، هما من قصيدة مدحت بها خيران العامري صاحب المرية، وهما:(٣)

عهدتم والعيش في ظل وصلهم أنيق وروض الوصل أخضر فينان
ليالي سعدٍ لا يخاف على الهوى عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

وقال المقرى: إنها من أهل المائة الرابعة، وهو بذلك يخالف مانقله ابن سعيد عن الحجارى. أما ترجمتها في كتاب «نزهة الجلساء»، فإن السيوطي لم يذكر شيئاً أكثر مما ذكره المقرى(٤). وترجمتها في كتاب بغية الملتمس، هي ترجمة حرفية لما ورد في الجذوة للحميدي(٥). فالحميدي ذكر أنها: الغسانية شاعرة تمدح الملوك مشهورة، ذكرها لنا الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن بن راشد ولم يعرف اسمها، وقال: انها كانت ببجانة وأنشدنا، وقال: انشدني الكاتب أبو علي البجاني لها من قصيدة طويلة في الأمير خيران العامري صاحب المرية تعارض بها أبا عمر أحمد بن دراج في قصيدته التي أولها:

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران وبشراك قد آواك عز وسلطان

وآول شعرها :(٦)

أتجزع إن قالوا ستظعن أظعان وكيف تطيق الصبر ويحك إن بانوا
وما هو إلا الموت عند رحيلهم وإلا فعيش تجتني منه أحزان

١ ـ الجذوة ، ص ٤١٣
٢ ـ المغرب ، ٢/ ١٩٢
٣ ـ نفح الطيب ، ٤/ ١٧٠
٤ ـ انظر : نزهة الجلساء ، ص ٩٣
٥ ـ بغية الملتمس ، ص ٥٤٤
٦ ـ الجذوة ، ص ٤١٣

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم أنيق وروض الدهر أزهر ريان
ليالي سعدٍ لا يخاف على الهوى عتاب ولا يخشى على الوصل هجران
ويسطو بنا لهو فنعتنق المنى كما اعتنقت في سطوة الريح أفنان
ألا ليت شعري والفراق يكون هل تكونون لي بعد الفراق كما كانوا

وكنا نرغب أن نرصد في هذا البحث جميع أشعار هؤلاء الشعراء، لنوفر على الدارسين عناء البحث عنها في المصادر المختلفة التي قد لا تتيسر دائمًا. إلا أن ضيق المجال هنا حال دون ذلك.

أما عن الصورة الفنية، فالشعر الأندلسي يعتبر محاكاة أمينة ودقيقة لتلك البيئة التي فتنت أفئدة أبنائها بجمال طبيعتها، وطيب تربتها، واعتدال مناخها. فانقدحت قرائحهم شعراً عذباً يجري كالماء الزلال، من خلال المعاني الشفافة والألفاظ الرقيقة، تفيض بها الخواطر دونما جهد أو عناء. فقصيدة ابن سفر في صفحة ٢١، تعتمد في التصوير على التشبيه والاستعارة والتأنق في اللفظ. وفي قوله:

لو أبصرت عيناك زورق فتية يبدي بهم لج السرور مراحه
وقد استداروا تحت ظل شراعه كل يمد بكأس راح راحه
لحسبته خوف العواصف طائرا مد الحنان على بنيه جناحه

يشبه صورة الزورق الشراع بالطائر، ثم صورة الفتية وكل يمد راحه إلى صاحبه تحت الشراع، بصورة الطائر يمد جناحه على بنيه رحمة وحناناً في يوم عاصف، بينما الصغار يمسك كل بأخيه أو يمد يده نحوه.

وفي قول ابن الشهيد أيضاً:

سبط البنان كأن كل غمامة قد ركبت في راحية أناملا

تصوير الممدوح بأنه البحر جودا أو السحاب كرما صورة معروفة، ولكن الصورة هنا فريدة، فقد جمع الشاعر السحب المتفرقة فجعلها أنامل للمدوح، وبذلك اصبحت راحة نبع الجود الذي لا يفيض.

مصـــادر البحـــث :

١ ـ أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، لابن الخطيب. بيروت ١٩٥٦.

٢ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي ـ القاهرة ١٩٥٥.

٣ ـ البيـان المغـرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي تحقيق ليفي بروفنسال ـ بيروت ١٩٨٠.

٤ ـ تاريخ مدينةالمرية الإسلامية، الدكتور السيد عبد العزيز سالم بيروت ١٩٦٩.

٥ ـ تحفة القادم، لابن الأبار، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٨٦.

٦ ـ الجديد في فن التوشيح، الدكتور عدنان صالح مصطفى، دار الثقافة، الدوحة ١٩٨٦.

٧ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تأليف الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.

٨ ـ خريـدة القصر وجـريـدة العصر، للعـماد الأصفهاني، قسم شعراء المغرب والأندلس تحقيق أذرتاش أذرنوش، الدار التونسية للنشر ١٩٧١.

٩ ـ دول الطوائف ، تأليف محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٦٩.

١٠ ـ ديوان ابن قزمان، تحقيق : ف. كورنيطي ـ المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٨٠.

١١ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام، تحقيق الدكتور احسان عباس، الدار العربية للكتاب ١٩٨١.

١٢ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري، تحقيق : ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٣٨.

١٣ ـ زاد المسافر ، لأبي بحر صفوان بن ادريس التجيبي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٠.

١٤ ـ العاطل الحالي والمرخص الغالي، للشيخ صفي الدين الحلي، تحقيق : الدكتور حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١.

١٥ ـ قلائد العقبان ، لأبي النصر الفتح محمد بن خاقان، طبعة مصر ١٣٢٠هـ.

١٦ ـ المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.

١٧ ـ المطرب ، تأليف ابن دحية، تحقيق : الدكتور مصطفى عوض الكريم، مطبعة مصر ـ الخرطوم ١٩٥٤.

١٨ ـ المقتضب من كتاب تحفة القادم، لابن الأبار، تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق ابراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري ـ القاهرة.

١٩ ـ مقدمة ابن خلدون، دار إحيار التراث، بيروت ـ لبنان.

٢٠ ـ نزهة الجلساء في أشعار النساء، للإمام جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد اللطيف عاشور ـ القاهرة.

٢١ ـ الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد بن الحسين عبد الله، محمد بن عبد الله الشلبي ١٩٧٤.